رحمة النبي ﷺ بأعدائه

دراسة قرآنية

إعداد:
أ. عبير مشبب محمد آل جعال الأحمري
محاضرة – جامعة تبوك
قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتّمان الأكملان على خير خلقه نبينا محمد، وعلى آله وصحبه التابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فإن نظرة الإسلام إلى البشرية ملؤها الرحمة، والشفقة، ولا يمكن أن تكون غير هذا؛ لأن الدين الإسلامي آخر الأديان التي شرعها الله ﷻ، وأمر الناس كافة بالدخول فيه، وإضافة إلى ذلك كله، فإن الله قد بعث رسول الإسلام رحمة للإنسانية ورحمة للعالمين فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، ولذا فقد رأيت أن أقدم لكم هذا البحث، تحت عنوان: "رحمة النبي ﷺ بأعدائه دراسة قرآنية".

أولًا: أهداف البحث:

١. التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة، في زمان كثرت فيه الافتراءات على الإسلام.

٢. إثبات فطرية الرحمة في الرسول عليه السلام، وتأصلها في نفسه.

٣. إبراز صور رحمة النبي ﷺ بأعدائه في القرآن الكريم.

٤. بيان الآيات الدالة على شفقة النبي ﷺ بأعدائه وعفوه عنهم، وشرح الآيات الدالة على حزنه ﷺ على إصرار أعدائه على الكفر والشرك.

٥. بيان أن موضوع الرحمة من أهم الموضوعات، التي ينبغي أن يُعنى بالبحث فيها، ونشرها في هذا الزمان.

ثانيًا: مشكلة البحث:

اُتهم الإسلام زورًا وكذبًا بأنه دين العنف والشدة والقتل، وخفي على بعض المسلمين جوانب الرحمة فيه وفي نبيه محمد ﷺ وجاء هذا البحث ليبين رحمة النبي ﷺ بأعدائه.

ثالثًا: الدراسات السابقة في الموضوع:

لم أجد بعد البحث من كتب في الموضوع سوى بعض الأبحاث المطبوعة المتعلقة بمؤتمر نبي الرحمة، التي تطرقت بصورة مخالفة لما ورد في البحث، والمتأمل في عناوين هذه الأبحاث ومحتوياتها يلحظ الاختلاف بين مضمون تلك الأبحاث، ومضمون هذا البحث، ومن هذه الأبحاث:

١. رحمة النبي ﷺ بأعدائه، إعداد د: فوزى بن درامن.

٢. معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي، إعداد د: سليمان الشجراوي.

أما البحث الأول: فمباحثه تختلف عن موضوع البحث، إلا في مبحث واحد، وهو الآيات التي أشارت إلى رحمته ﷺ بأعدائه، وهذا المبحث كذلك اختلف معه من ناحية المنهج الذي سار عليه الباحث في بحثه. وأما البحث الثاني فمباحثه أيضًا تختلف عن موضوع البحث، وقد أبرز البحث من جانب السيرة النبوية.

رابعًا: منهج البحث:

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي. ويتلخص فيما يلي:

١. جمعت الآيات القرآنية التي لها علاقة بعناوين هذا البحث.

٢. اقتصرتُ على الأحاديث الصحيحة، وقد حرصتُ على اختيار ما ورد في الصحيحين أو أحدهما.

٣. حرصت على عزو الأقوال لأصحابها، وعزو ذلك إلى مصادره، وما تصرفت فيه أشرت إلى ذلك بعبارة: (تصرف).

خامسًا: خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمةٍ، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة على التفصيل التالي:

المقدمة: وفيها أهداف الموضوع، ومشكلة البحث، ومنهجه وخطته.

التمهيد: ويتضمن مفهوم الرحمة ونظائرها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: حرص النبي ﷺ على هداية أعدائه، وعفوه وصفحه عنهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حرص النبي ﷺ، على هداية أعدائه.

المطلب الثاني: عفو النبي ﷺ، وصفحه عن أعدائه.

المبحث الثاني: تحسر النبي ﷺ، وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحسر النبي ﷺ، وأساه على عدم هداية الكفار.

المطلب الثاني: حزن النبي ﷺ، على عدم هداية الكفار.

المبحث الثالث: وصف النبي ﷺ بأنه رحمة للمنافقين، واستغفاره لهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رحمة النبي ﷺ بالمنافقين.

المطلب الثاني: استغفار النبي ﷺ للمنافقين.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ويلي ذلك الفهارسُ العامة.

وختامًا: فالشكر كله لله ﷻ على ما وفق ويسر لاختياري هذا البحث وإتمامه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله أعلم وأجل.

التمهيد
مفهوم الرحمة، ونظائرها في القرآن الكريم

معنى الرَّحْمَة لغةً:

الرحمة: من رَحِمَهُ يرحمه، رحمةً ومرحمةً، إذا رقَّ له، وتعطف عليه، وهي مأخوذة من مادة (رَحِمَ)، التي تدل في الأصل على (الرِّقَّة والعطْف والرَّأفة)[1].

جاء في لسان العرب الرحمة بمعنى (المغفرة)[2]، وحكى ابن سيده: "أصل الرّحمة النّعمة" من قوله ﷻ: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨]، كما أن حقيقة الرحمة (الإنعام على المحتاج)[3].

معنى الرَّحْمَة اصطلاحًا:

عرّف أهل العلم الرحمة في الاصطلاح بمعانٍ، عدة مأخوذة من دلالة المعنى اللغوي للكلمة، ومن هذه التعريفات:

قال الراغب الأصفهاني: "الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلانًا"[4]؛ ولذا فإن الرحمة ليست عبارة عن انفعالات

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس مادة: رحم، (٢/ ٤٩٨).
(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور مادة: رحم، (٥/ ١٧٣).
(٣) انظر: المخصص، لابن سيده (٥/ ٢٢٥).
(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة: رحم (١/٢٥٣).

وأحاسيس عاطفية داخل النفس فحسب، بل إن لها آثارًا واضحة للعيان في العلاقة بين الراحم والمرحوم. وقيل: "الرحمة حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"(١).

وحدّها الطاهر بن عاشور، فقال: الرحمة: "اسم مصدر لصفة الراحم، وهي من صفات الإنسان، فهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه". ويعرفها السعدي بأنها: "رقة القلب وصفوه ورحمته للخلق، وزوال قسوته وغلظته، وهي من أخلاق صفوة الخلق"(٢). وفيما تقدم من معاني الرحمة، قال ابن القيم: "مما ينبغي أن يُعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقَّت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك"(٣). وعلى الجملة، فإن لفظ (الرحمة) من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود على الإنسان في دنياه وآخرته.

نظائر الرَّحْمَة في القرآن:

هناك نظائر لكلمة الرحمة، وردت في القرآن الكريم، يدور معناها حول معنى الرحمة، وهي:

١. الرأفة: عبَّر ابن فارس عن أصل هذه الكلمة، فقال: "الراء والهمزة والفاء كلمةٌ واحدة تدلُّ على رِقّة ورحمة، وهي الرَّأفة»(٤)، وقد

(١) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي (ص٤٧١). الرحمة في القرآن الكريم، موسى عسيري (ص٢١-٢٢).
(٢) انظر: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن السعدي: (ص: ١٤٤)، الرحمة في القرآن الكريم، موسى عسيري (٢١-٢٢).
(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، (٢/٩٠١).
(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: رأف (٢/٤٧١).

ذهب المفسرون إلى أن الرَّأفة أخص من الرحمة، ومما ذكروه على هذا المعنى قولهم: الرَّأفة: أشد الرحمة[١]، أو الرَّأفة: أعلى معاني الرحمة[٢]، أو الرَّأفة: ألطف الرحمة وأرقها[٣].

قال الزجاج: "الرَّأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رءوف"[٤]. وقد وردت هذه اللفظة مفردة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور:٢]. ومقترنة بلفظ الرحمة كقوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد:٢٧].

٢. الحَنَان: عرّف ابن فارس هذه الكلمة فقال: "الحاء والنون أصلٌ واحد، وهو الإشفاق والرّقّة...، والحَنَانُ: الرحمة». قال الله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم:١٣]. وتقول: حَنَانَك أي رحمَتَك... وحنانَيْكَ، أي حنانًا بعْدَ حنان، ورحمةً بعدَ رحمة»[٥]. قال ابن عطية: "والحنان الرحمة والشفقة والمحبة قاله جماعة المفسرين"[٦] قال ابن الأنباري: "لم يختلف اللغويون أن الحنان الرحمة"[٧]، وقد وردت هذه اللفظة في موضع واحد من القرآن الكريم في حق نبي الله يحيى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٣].

٢. اللين: (اللام والياء والنون كلمةٌ واحدة، وهي اللِّين: ضدُّ الخُشُونَة...

(١) انظر: مجاز القرآن، معمر البصري، (٥٩/١)، تفسير القرآن، السمعاني (١٥٠/١)، معالم التنزيل، البغوي (١٦١/١).
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٠٤/١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٢٢١/١).
(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (٤٢١/١)، تفسير القرآن الكريم من سورة الحجرات وحتى الحديد، ابن عثيمين (ص: ٤٢٨).
(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، براهيم الزجاج، (ص: ٦٢).
(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: حَنَّ (٢٢٥/٢، ٢٢٤).
(٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٤/ ٧)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي الواحدي (١٧٨/٣)،
(٧) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي (٢١٤/٥).

وفلانٌ مَلْيَنَة، أي ليِّن الجانب»[1]. وقال الراغب الأصفهاني: "اللين ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني"[2]. وقد وردت هذه اللفظة في موضعين من القرآن الكريم: الأول في صفة خير الخلق ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢]، والثاني في صفات المؤمنين عند سماعهم لكلام ربهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الكهف:٩٨].

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: لين (٥/٢٢٥).
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني مادة لين (١/٥٨٩).

المبحث الأول
حرص النبي ﷺ على هداية أعدائه، وعفوه وصفحه عنهم

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على هداية أعدائه رحيمًا بهم، بل كان يدعو لهم بالهداية، ولا يدعو عليهم بالهلاك؛ ليكشف عن قلوبهم ظلمات الجهل المدلهمَّة، ويطهرهم من أدناسِ الرَّيْن وأجناس الرَّيب؛ ولهذا كان يتألم لعدم استجابتهم شفقة ورحمة منه ﷺ عليهم، حتى أشفق عليه المولى ﷻ وهَدَّأ روعه من الحالة التي كان عليها، قال ابن تيمية: "الرسول ﷺ بعثه الله ﷻ هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم"(١).

المطلب الأول
حرص النبي ﷺ على هدية أعدائه

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف] قال الشوكاني: "أي وما أكثر الناس المعاصرين لك يا محمد، أو ما أكثر الناس

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٣١٣/١٦).

على العموم ولو حرصت على هدايتهم، وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله، لتصميمهم على الكفر الذي هو دين آبائهم"[1]، حيث اشتملت هذه الآية على فوائد منها، رحمة النبي ﷺ بأمته وحرصه على هدايتهم، ومن ذلك أيضًا تسلية لقلب النبي ﷺ كي لا يتحسر ولا يحزن على عدم استجابتهم له. وكون أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، ومع ذلك يحرص ﷺ على هدايتهم ودعوتهم، فهذا دليل على عظيم رحمته وكمال شفقته بهم. والمتدبر لكتاب الله يجد آيات كثيرة وصفت النبي ﷺ بأنه صاحب القلب الرحيم، الذي جمع الله له القلوب، وتآلفت بدعوته الجموع، وما ذاك إلا جانب من جوانب رحمته بهذه الأمة وحرصه على هدايتهم؛ ولهذا سلاه الله ﷻ ، وربط على قلبه، وطمأنه بأن لا ييأس من عدم إيمانهم واستجابتهم، وأن مهمته مقتصرة على البلاغ، حيث قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]. وهذا ما أشار إليه الطاهر بن عاشور عند كلامه على هذه الآية، فقال: "وجملة ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [يوسف:١٠٤] معطوفة على جملة ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخرها باعتبار ما أفادته من التأييس من إيمان أكثرهم. أي لا يسوءك عدم إيمانهم، فلست تبتغي أن يكون إيمانهم جزاء على التبليغ، بل إيمانهم لفائدتهم"[2] كقوله: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ [الحجرات:١٧].

لم يفرق ﷺ في دعوته بين أحمر وأسود، ولا بين أعجمي وعربي، قال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل: ٣٧]. وهذا ما جبل عليه النبي ﷺ من الشفقة والرحمة، وما ميزه به الله حيث جعله يحرص على إيصال ما جاء به ﷺ من الخير

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٣/٧٩-٨٠)، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي (٤/٢٩٣)، مفاتيح الغيب، محمد الرازي (١٨/١٧٨).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٣/٦٢).

والهدى، حتى يعم نفعه جميعَ المخلوقين، وهذه الآية خير شاهد على ذلك، قال الطبري: "فتأويل الكلام: لو كان الأمر على ما وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضله الله فلا هادي له، فلا تجهد نفسك في أمره، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة"[1]، وقال القرطبي: عند تفسيره لهذه الآية "أي: إن تطلب يا محمد بجهدك هداهم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: لا يرشد من أضله، أي من سبق له من الله الضلالة لم يهده[2]، ثم أخبر الله ﷻ رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم، إذا كان الله قد أراد إضلالهم"[3]. والمستقرئ للسنة النبوية يجد الكثير من الأحاديث التي زخرت بها سنته ﷺ في رحمته وحرصه على هداية أعدائه فكما اتسع قلبه لأصفيائه، اتسع أيضًا لأعدائه، مع ما لقيه ﷺ منهم من أذية وصدود، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل: فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال يا محمد: فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبدالله وحده لا يشرك به شيئًا»[4]. «لقد وسعهم قلبه الرحيم فرأف بهم وأبى أن يهلكوا

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢١٨/١٤).
(٢) انظر: الجامع لإحكام القرآن، القرطبي (٣٢٢/١٢-٣٢٣).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٧١/٤).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: (٣٢٣١)، (٤/ ١١٥)، ومسلم في صحيحه، =

معاقبة على سوء ردهم، ونظر إلى الغد نظرة مشرقة بالأمل، لم يقف عند حاضرهم المظلم بل تجاوزه إلى الغد المرتقب ورجا إن لم تنشرح قلوبهم للإيمان أن يهدي الله قلوبًا تنبثق من أصلابهم»[1]. وما هذا إلا أنموذج من سيرته ﷺ في بيان رحمته وشفقته مع أعدائه من المشركين.

وعند قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]. وجدت رحمة النبي ﷺ بالمدعوين مع علمه ﷺ بأن هداية التوفيق بيد الله وحده. قال الطبري في بيان هذه الآية: "يعني ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة"[2]. والناظر في كلام المفسرين عند هذه الآية يجد أنه واضح الدلالة على أن هداية التوفيق هي بيد الله ﷻ وأن النبي ﷺ لا يملكها، ولكن لشفقته ورحمته ﷺ بهم كان شديد الحرص على إخراجهم من ظلام الشرك إلى نور الإسلام والهداية، لكنهم صم عن سماع الحق لا يعقلونه كما قال الله عنهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:٤٢].

ويقول ابن عطية عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩] والمعنى أن هذا الذي تقدم إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم، ولو شاء الله لكان الجميع مؤمنًا، فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك، وادع ولا عليك فالأمر محتوم، أفتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرهم إلى ذلك، والله ﷻ قد شاء

= كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (١١١)، (٨٦٤/٢).

(١) انظر: الرسالة المحمدية وشواهدها، محمود عبدالوهاب (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/٥).

غيره[1]. وعن ابن عباس ﷺ قال: (ونحو هذا في القرآن، فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول)[2].

قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦] "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله». ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبًا ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه، وذُكِرَ أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك"[3].

وقد ذكر الواحدي أن سبب نزول هذه الآية كما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله ﷻ»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعاودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ «والله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزل الله ﷻ

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١٤٥/٣).
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٩٨/١٢).
(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨٢/١٨-٢٨٣).

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[1] [القصص:٥٦] وهذا يدل على أن النبي ﷺ لا يملك هداية التوفيق، وليست بيده، ولو كانت بيده لجعلها لعمه أبي طالب؛ لكن الشفقة والرحمة التي امتلأ بها فؤاده جعلته يشفق على عمه ويرحمه، فاجتهد النبي ﷺ أن يوصل إلى عمه نظير ما صنع له.

المطلب الثاني
عفو النبي ﷺ وصفحه عن أعدائه

لقد بلغ النَّبيُّ ﷺ غاية الحِلْم والعفو، فكان النبي ﷺ يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه ويعفو عنه، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، فكانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته، والإيمان به واجتماع القلوب عليه[2]. فربما أثقل ﷺ على نفسه وتنازل عن حقه في سبيل إيصال ما أرسل به، حيث لم ينبثق هذا العفو والصفح، إلا من قلب رحيم مشفق على دعوة أمته للخير، وفي هذا جانب من جوانب رحمته بالمدعوين، ومن تلك الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] في هذه الآية أمر الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ بالعفو عن هؤلاء

(١) انظر: أسباب النزول، الواحدي (٣٤٧/١)، وأصله في مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله، حديث رقم: (٣٩)، (٣٣/١).

(٢) انظر: رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني (١٥١/١).

القوم، الذين همُّوا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله ﷻ له: اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود، الذين همُّوا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جُرْمهم بترك التعرُّض لمكروههم، فإني أحب من أحسنَ العفو والصَّفح إلى من أساء إليه"[1].

قال السعدي مفسرًا هذه الآية، ومبينًا أن العفو والصفح من الإحسان، ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾ أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفو عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان»[2] ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، ولا شك أن العفو والصفح عنهم من الرحمة بهم.

قال ابن عاشور: "وأمْرُه بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق»، وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي ﷺ. وليس المقام مقام ذكر المناوأة القومية أو الدينية، فلا يعارض هذا قوله في براءة ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]؛ لأن تلك أحكام التصرفات العامة، فلا حاجة إلى القول بأن هذه الآية نسخت بآية براءة»[3].

قال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٩]. في الآية إرشاد وتسلية من الله ﷻ لنبيه. أي: فأعرض عنهم، ولا تطمع في إيمانهم لشدة كفرهم[4]. وقد تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثة أمور: الأول: أمره ﷺ بالصفح عن الكفار. والثاني: أن يقول لهم سلام. والثالث: تهديد الكفار بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٨/ ٢٥٥).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي (ص: ٢٢٦).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٦/ ١٤٥).
(٤) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد الطنطاوي (١٣/ ١٠٨).

النار[1]. كما أن في هذه الآية أمرًا من الله ﷻ لنبيه ﷺ بأن يعرض عنهم ولا يحزن لحالهم، فهذا يدل على أنه ﷺ من رحمته بهم كان كثير الصفح والعفو عنهم.

وهذا ما ألمح إليه ابن عاشور بقوله في معنى هذه الآية: "فاصفح عنهم، أي أعرض عنهم ولا تحزن لهم وقل لهم إن جادلوك: سلام، أي سلمنا في المجادلة وتركناها"[2].

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي (٣٣٥/٧).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٧٣/٢٥).

المبحث الثاني
تحسر النبي ﷺ وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار

المطلب الأول
تحسر النبي ﷺ، وأساه على عدم هداية الكفار

أبان القرآن الكريم أن من نعم الله على البشرية أن رسول الله ﷺ بُعث بالرحمة للناس جميعًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، ورحمة النبي ﷺ بالمسلمين المؤمنين به أمر معلوم، لكن رحمته ﷺ لم تقتصر عليهم، بل شملت حتى الكافرين به، فما كان من حالهم إلا أن قابلوه بالرد والتكذيب والاستكبار عن قبول الحق، ومع هذا كله لم يكن همه ﷺ إلا أن ينقذهم من النار، ويؤكد الرسول ﷺ ذلك بقوله: (أنا ... نبي الرحمة)[1].

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه: لا تحزن، يا محمد، على تكذيب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بني إسرائيل لك، فإن مثل ذلك منهم عادة وخلق في التعامل مع أنبيائهم، فكيف

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، حديث رقم: (١٢٦)، (٢/١١٠٦).

فيك"؟[1] وفي الآية «استخفاف بأمر أهل الكتاب- وصرف النظر عنهم، وتركهم فى ضلالهم يعمهون، ليلقوا المصير السيّء الذي يلقاه المحادّون لله، الكافرون به، غير مأسوف عليهم.. إذ كان ذلك من صنع أيديهم، وما جنته عليهم أنفسهم، وقد نصحوا فلم ينتصحوا، وأنذروا فلم تغنهم النّذر..ومن كان هذا شأنه فلا يستحق أن يأسى (أي يحزن) عليه أحد»[2].

قال الآلوسي وقوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: "لا تأسف ولا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن غائلة ذلك موصولة بهم وتبعته عائدة إليهم، وفي المؤمنين غنى لك عنهم، ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر، وقيل: المراد لا تحزن على هلاكهم وعذابهم، ووضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على العلة الموجبة لعدم الأسى، ولا يخلو عن بعد إن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب في الإيمان والعمل الصالح"[3].

وقد سلَّى الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فالفاء للفصيحة لتتمّ التّسلية؛ لأنّ رحمة الرسول ﷺ بالخَلْق تحزنه ممَّا بلغ منهم من زيادة الطّغيان والكفر، فنبّهتْ فاء الفصيحة على أنّهم ما بَلغوا ما بَلغوه إلاّ من جرّاء الحسد للرسول ﷺ، فحقيق أن لا يحزن لهم[4].

قال أبو حيان في تفسيره لهذه الآية قال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]. "هذا من فرط رحمته للناس، ورأفته بهم»[5] والآية بمعنى: لا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك[6] وقال الشوكاني: "إن الله ﷻ نهى نبيه ﷺ عن شدّة الاغتمام

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٥٤٧/٨)
(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٣/ ١١٤٣).
(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (٢٠٠/٦).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٧).
(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (١٢٦/٣).
(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣٣٤/١٩)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، =

بهم والحزن عليهم[1]. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي فلا تفعل ذلك، أي لا ينبغي لك ذلك؛ فإنهم أوقعوا أنفسهم في تلك الحالة بتزيين الشيطان لهم ورؤيتهم ذلك حسنًا وهو من فعل أنفسهم فلماذا تتحسر عليهم»[2].

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف]. دلت هذه الآية بمفهومها على نهي النبي ﷺ عن إهلاك نفسه أسفًا على المكذبين. قال ابن كثير: يقول تعالى مسليًا رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨] وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣] باخع: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم؛ ولهذا قال ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾ يقول: لا تهلك نفسك أسفًا، أي: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات[3]. قال أبو حيان عند ذكر معاني لعل عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: "والذي يظهر أنها للإشفاق أشفق أن يبخع الرسول ﷺ نفسه لكونهم لم يؤمنوا"[4].

وعند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣] يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به، والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب[5]؛ لأن نفسه ﷺ كادت تهلك وتتلف؛ إشفاقًا عليهم بما ينزل بهم بتركهم الإسلام، وهذا ليس على النهي، ولكن على تسكين نفسه وتقريرها

= لعلي الواحدي (٣/ ٥٠١).
(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٤/٤٤٨).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٢/٢٦٤).
(٣) تفسير ابن كثير: (٥/١٣٧).
(٤) البحر المحيط: (٦/٩٦).
(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٧/٥٤٣).

على ما هي عليه[1]. قال ابن كثير "وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ أي: مهلك ﴿نَّفۡسَكَ﴾ أي: مما تحرص (عليهم) وتحزن عليهم ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾، وفي هذا تسلية من الله لرسوله، ﷺ، في عدم إيمان مَنْ لم يؤمن به من الكفار"[2].

المطلب الثاني
حزن النبي ﷺ على عدم هداية الكفار

لقد أبان القرآن الكريم في مواضع كثيرة حزن النبي ﷺ من عدم استجابة الكفار لدعوته، وما ذاك إلا لكمال شفقته ورحمته بهم طمعًا منه ﷺ في إيمانهم، حيث لم تقف رحمته ﷺ عند الإعراض عن أذيَّتهم، والحلمِ عن جهالتهم، بل إنها تعدَّت ذلك إلى مجال أرحب وأفسح، يتجلى في حرصه البالغ على دعوتهم وهدايتهم، وإنقاذهم من النار، وهذه هي غاية الرحمة التي اتصف بها نبي الرحمة، وما ذكره المفسرون عند كلامهم على الآيات الدالة على حزن النبي ﷺ من عدم استجابتهم للحق دليل واضح على رحمته بهم، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾ [آل عمران:١٧٦]. هذه الآية فيها التقليل من شأن المكذبين؛ ولذلك نهى الله ﷻ نبيه عن الحزن على أولئك المكذبين، «فاغتم النبي ﷺ لذلك، فسلاه الله ﷻ، ونهاه عن الحزن، وعلل ذلك بأنهم لن يضروا الله شيئًا، وإنما ضروا أنفسهم بأن لا حظ لهم في الآخرة، ولهم عذاب عظيم»[3].

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، محمد الماتريدي (٨/ ١٣١).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/١٣٥).
(٣) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (١/٦٥٣).

كان النبي ﷺ حريصًا على الخلق، مجتهدًا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ من شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عين (رعايته)، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيبًا في الآخرة من ثوابه؛ فخذلهم ولم يوفقهم لما وفق له أولياءه، ومن أراد به خيرًا، عدلًا منه وحكمة؛ لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم»[1].

فهذه الآية دلت على أن النبي ﷺ لكثير اهتمامه وألمه بحال أولئك حزن عليهم؛ وهذه هي غاية الرحمة والشفقة، خاصة أن هذا الحزن كان على أولئك القوم، الذين لم يستجيبوا لدعوته، ومع هذا حزن النبي ﷺ من عدم انصياعهم للحق الذي جاء به، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، فوجه الله ﷻ الخطاب للنبي ﷺ بأن لا يتأثر بحال أولئك القوم، وأن لا يهتم بأمرهم.

يختلف أسلوب القرآن من موضع إلى آخر في تسلية النبي ﷺ ومواساته في عدم التأثر بحال المكذبين الذين حزن النبي ﷺ من عدم استجابتهم رحمة بهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة:٤١]. حيث أخبره الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن قلوب أولئك صادة عن قبول الحق، الذي جاء به نبي الرحمة وقد ورد في سبب نزولها ما رواه البراء بن عازب قال: مر رسول الله ﷺ بيهودي محممًا[2] مجلودًا، فدعاهم، فقال: «أهكذا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي (١٥٧-١٥٨).
(٢) مُسَوَّد الوجه، من الحُمَمَة: الفحمة، وجمعها حُمَم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة حَمَمَ، ابن الأثير (١/٤٤٤).

تجدون حد الزاني في كتابكم» قالوا: نعم، قال: فدعا رجلًا من علمائهم فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أنك نشدتني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذ أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة:٤١][1].

في هذه الآيات تأثير كفرهم في نفس النبي ﷺ وحزنه مما يقولون في نبوته، وسلاه عن ذلك ببيان سنته ﷻ في الرسل مع أقوامهم وإياسه من إيمان الجاحدين المعاندين منهم[2] فسلاه الله بقوله: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما ذكره الواحدي، قال السدي: "التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله ﷻ هذه الآية»[3].

ويضيف أبو السعود في تفسيره بعد بيانه: أن ذلك تسلية للنبي ﷺ، بأن مكانته عليه السلام عظيمة عند الله ﷻ وأن إيذاء النبي ﷺ إيذاء لله ﷻ، فيقول: «وهذا استئنافٌ مَسوقٌ لتسلية رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه، مما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، حديث رقم: (٢٨)، (٢/٨١٢-٨١٣).
(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٧/٣١٠).
(٣) انظر: أسباب النزول، الواحدي (١/٢١٨).

حُكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانةٍ من الله ﷻ، وأن ما يفعلون في حقه فهو راجعٌ إليه ﷻ في الحقيقة، وأنه ينتقم منهم لا محالة أشدَّ انتقام»[1].

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يونس:٦٥]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك، يا محمد، قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام فإن العزة لله جميعًا، فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة، لا شريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد؛ لأنه لا يعازه شيء ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم و يعلنونه، محصى ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد"[2]، وإلى هذا المعنى الذي ذكره الطبري في تفسير الآية أشار عدد من المفسرين[3].

ثم أمره الله بعدم النظر إلى هؤلاء المترفين بقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]. أي: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعًا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابًا غليظًا ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: ولا تحزن على ما متعوا به فعجل لهم؛ فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم»[4]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (١٩٥/٢-١٩٦).
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٢٦/١٢).
(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (٣٢٨/٢)، فتح القدير، محمد الشوكاني (٦٤٣/٢-٦٤٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (١٧٩/١١).
(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٢٧/١٤، ١٢٦).

عَلَيۡهِمۡ﴾ أي ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا، وقيل: المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا فلك في الآخرة أفضل منه، وقيل: لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل العذاب[1].

ثم أمره ﷻ بالصبر، فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ [النحل:]. قال الطبري: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله. ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ﴿وَلَا تَكُ ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ يقول: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله، من أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك»[2].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النمل:٧٠]. فقوله: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ يقول: ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلًا بالسيف»[3]، ويذكر ابن كثير في تفسيره لهذا الآية تسلية الله جل وعلا لنبيه ﷺ في نهيه عن الحزن على هؤلاء، الذين اهتم بشأنهم شفقة ورحمة بهم، حيث قال: «ثم قال ﷻ مسليًا لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم، وتذهب نفسك عليهم حسرات»[4].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/٢٥٤).
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٤/٤٠٧).
(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٨/١١٢).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٢٠٨).

قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [لقمان:٢٣]. يقول تعالى ذكره: «ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم، يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان»[١]. فهذه نهاية من يكفر ويخدعه متاع الحياة، نهايته في الدنيا تهوين شأنه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين. ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ فشأنه أهون من أن يحزنك، وأصغر من أن يهمك[٢]. وانشغاله ﷺ وحزنه في شأن أولئك القوم، دليل واضح على الرحمة، التي يحويها قلبه ﷺ، فهو ينظر إليهم نظر الشفقة والرحمة فرأف بهم، وأبى أن يهلكوا وهم على حالهم، فجاءه الوحي من الله ﷻ تسلية له ﷺ بأن لا يحزن عليهم لأن الهداية بيد الله ﷻ.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٨/ ٥٧٠).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٩٤).

المبحث الثالث
وصف النبي ﷺ بأنه رحمة للمنافقين[1]، واستغفاره لهم

المطلب الأول
رحمة النبي ﷺ بالمنافقين

كان بعض المنافقين في المدينة إذا خلوا إلى بعضهم أخذوا يتحدثون في النبي ﷺ بما يؤذيه، ويسخرون منه، وينتقصون من قدره، وكان ﷺ يطلع على كثير مما يدور بينهم، أحيانًا عن طريق الوحي، وأحيانًا عن طريق بعض المؤمنين الذين يؤلمهم ما يسمعونه عنه ﷺ. حيث كان النبي ﷺ يغض عن أولئك المنافقين كرمًا منه وتسامحًا، وإذا جاؤوا إليه معتذرين لم يجبهم باللوم والتعسف، بل يقبل منهم ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلى الله ﷻ. ومع هذا فقد كانوا يخافون من انكشاف أمرهم باطلاع النبي ﷺ على ما يقولونه في حقه من الكلام السيئ، ولكن بعضهم لكثرة ما يعاملهم به النبي ﷺ من العفو قد ظنوا أن أمرهم قد خفي عليه، وأنه يصدقهم في كل ما يقولونه له وقبل جميع اعتذاراتهم، فلجوا في الطغيان في غوايتهم حتى بلغ لؤمهم وخبث نفوسهم أن اعتبروا ما كان يعاملهم به ﷺ من العفو والسماحة نوعًا من الغفلة والبله، فنزل القرآن يكشف حقيقتهم ويبن لهم خطأ ما توهموه في النبي ﷺ من أنه يقبل اعتذاراتهم[2].

(١) اقتصرت في هذا المبحث على هذه الآية لورود لفظ الرحمة فيها.
(٢) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي (ص: ٤١٨).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]. قال الرازي: "كان النبي ﷺ يسعى في إيصال الخير والرحمة إلى المنافقين مع كونهم في غاية الخبث والخزي، ثم إنهم بعد ذلك يقابلون إحسانه بالإساءة وخيراته بالشرور»[١]؛ وقد جرأهم على ذلك إغضاؤه ﷺ عن إجرامهم وإمهالهم حتى يتمكن من الإيمان من وفقه الله للإيمان منهم[٢]؛ فإنه لو أمره الله ﷻ أن يعاملهم بما يخفون من الكفر لكان ذلك أمرًا بقطع رقابهم، وبقاؤهم خير لهم بالمعنى الذي يعتقدونه من لفظ الخير، وخير لهم في نفس الأمر؛ لأنه إمهال لهم يرجى أن يتوب بسببه من فيه استعداد للإيمان منهم بما يراه من آيات الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين[٣].

وقد خُصَّ المؤمنون في قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ وإن كان رحمة للعالمين؛ لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول ﷺ لم يحصل لغيرهم، وخصوا هنا بالذكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين؛ لحصول مزيتهم[٤]. وعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا: من اتبعه واهتدى بهداه، وصدَّق بما جاء به من عند ربه؛ لأن الله استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتِّباعه جنّاته[٥]؛ ولذا قال أبو الليث السمرقندي: "﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ في السر والعلانية»[٦]. ويؤيد هذا القول: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُ﴾ فهو مقابل قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ على إيذاء الرسول

(١) انظر: مفاتيح الخير التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي (٩٤/١٦).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٤٣/١٠).
(٣) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (١٠/ ٤٤٨).
(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (٥/ ٤٤٩).
(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٥٣٩/١١)، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٤٤/١٠)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠)
(٦) انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي (٥٨/٢).

ﷺ بالقول أو الفعل ينافي الإيمان الذي هو سبب الرحمة، فجزاؤه ضد جزائه وهو العذاب الشديد الإيلام[١]. وقيل: إنَّ المراد بالذين آمنوا هنا: المتظاهرين بالإيمان المبطنين للكفر، وهم المنافقون[٢]. وكونه رحمة لهم؛ لأنه قبل منهم الإيمان الظاهر لا تصديقًا لهم بل رفقًا بهم، ولم يكشف أسرارهم ولم يهتك أستارهم، وأنه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين[٣]. ويؤيد هذا أن الله قال: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف[٤]. وهذا القول لم يرتضه عدد من أهل العلم؛ لأن النبي ﷺ إنما بعث رحمة لمن آمن به حقًا، وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم[٥]. وأما قولهم: إن الله قال: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف؛ فهذا القول ضعيف؛ لأن كثيرًا ما ناط التنزيل الجزاء على الإيمان بالتعبير عن أهله بالفعل الماضي[٦]. وأما تفسيرهم كونه رحمة بالمنافقين بستره عليهم وقبول الإيمان منهم ظاهرًا؛ فهو خطأ أيضًا؛ لأن ذلك يُعدُّ استدراجًا من الله لهم، وكيف يكون رحمة لهم وهم يعيشون في الدنيا في أسوأ حال، وهم يتوقعون في كل يوم أن يوقع بهم النبي ﷺ إذا انكشفوا وظهرت حقيقتهم، وسيؤول أمرهم في الآخرة إلى أسوأ حال، حيث يكونون في الدرك الأسفل من النار؟![٧]، ولما كان كل منهم يدعي الإيمان كان قوله ﴿مِنكُمْ﴾، تعريضًا

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (٤٤٩/١٠).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٤٤/١٠).
(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (٦١/٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، (٤/ ٧٧)، فتح القدير، محمد الشوكاني (٥٣٥/٢)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (١٢٧/١٠).
(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠).
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي (ص٣٤٢)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠)، تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي (١٤٨/١٠)، المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي (ص: ٤١٩).
(٦) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠).
(٧) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي (ص: ٤١٩).

بغير الصادقين منهم. والذي يظهر لي والله أعلم ثبوت رحمة النبي ﷺ للمنافقين أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: "... وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره"(١). و قال محمد رشيد رضا: "وتخصيص رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة على الكفار والمنافقين - لا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين، كما هو ظاهر، فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم، لعموم بعثته ﷺ ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردَّها، وقد بينَّا في تفسير ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٣] أنه إنما أمر بذلك صلوات الله تعالى عليه، لأن الغالب على طبعه الشريف الرقة والرحمة والأدب في المقابلة والمعاشرة"(٢)، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وقد اشتملت هذه الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه السلام، ومدح مرسله ﷻ، ومدح رسالته؛ بأن كانت مظهر رحمة الله ﷻ للناس كافة، وبأنها رحمة الله ﷻ بخلقه(٣).

والرحمة على عمومها في الآية الكريمة، وهذا العموم يحتمل وجهين: أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته(٤)؛ لأن الناس كانوا ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر، ومنافق، وكان رحمة للمؤمنين، حيث هداهم طريق الجنة، ورحمة للمنافقين حيث أمنوا القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب(٥). الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكنَّ المؤمنين قبلوا

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية (ص: ١٩٦). وأما دلالة الآية الكريمة على رحمته ﷺ بالمنافقين على قراءة الخفض ففيها عدم ظهور لهذا المعنى كما تقدم النقل عن الشنقيطي.
(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٧٢/١١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٦٥/١٧).
(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٥٥٢/١٨).
(٥) انظر: بحر العلوم، السمرقندي (٣٨٢/٢)، جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص: ١٩٦).

هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها[1].

المطلب الثاني
استغفار النبي ﷺ للمنافقين

كان النبي ﷺ يسعى في إيصال الخير والرحمة إلى المنافقين بالاستغفار لهم تارة وبدعوتهم تارة أخرى مع كونهم في غاية الخبث والخزي، حيث قابلوا إحسانه بالإساءة وخيراته بالشرور، مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيد شيئًا، ولا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين لكن شفقة منه ﷺ عليهم ورحمة بهم، استغفر لبعضهم.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

قال ابن كثير "يخبر ﷻ نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلًا للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة، فإن الله لا يغفر لهم. وقد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسمًا لمادة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها"[2]. وقال الشوكاني "وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولًا كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول. فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل

(١) انظر: جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص: ١٩٦)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٨٥/٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي (٢٨٨/٤)، و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي (ص: ٥٣٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٨٨/٤).

في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنى: أنه لن يغفر الله لهم، وإن استغفرت لهم استغفارًا بالغًا في الكثرة، غاية المبالغ"[1]، فهذه الآية دلت على أن الاستغفار لا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين، لكن شفقة منه ﷺ ورحمة بهم استغفر لبعضهم مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيدهم شيئًا، وذلك عندما طلب ابن عبدالله بن أبي ابن سلول من النبي ﷺ أن يصلي على أبيه وأن يشعره قميصه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما توفي عبدالله بن أُبي جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيده على السبعين»، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[2]. وقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث قد جلَّى الاستشكال الذي في هذا الحديث من أن النبي ﷺ لم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في الصلاة على عبدالله بن أبي ابن سلول فنقل قول الخطابي في ذلك وأن النبي ﷺ فعل ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتَطْيِيب قلب ولده فقال: وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام واستصحابًا لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه، ودفع المفسدة، وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٥٤٩/٢).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِه: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [النمل:٧]، حديث رقم: (٤٦٧٠)، (٦٧/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم: (٣)، (١٢٨٠/٢).

على خلاف ذلك؛ مصلحةً للاستئلاف وعدم التنفير عنه؛ ولذلك قال: (لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام، وقلَّ أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله ﷻ.

ويقول د. صلاح الخالدي: "ولكن الرسول ﷺ غلب جانب الرحمة والشفقة من رسالته وشخصيته فصلى عليه، ومشى في جنازته ووقف على قبره»[1].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. قال الطبري: "يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تصلِّ، يا محمد، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدًا ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، يقول: ولا تتولَّ دفنه وتقبيره»[2]، حيث ورد في سبب نزول هذه الآية أنه لما توفي عبدالله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله صلوات الله عليه وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وأصلي عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: «آذني حتى أصلي عليه»، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خيرتين: استغفر لهم أو لا تستغفر»، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ فترك الصلاة عليهم[3]، ويقول القرطبي: "في توجيه استغفار النبي ﷺ

(١) انظر: عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه، د. صلاح عبدالفتاح (ص: ٧٦).
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١١/ ٦١٠).
(٣) تقدم تخريجه.

للمنافقين وصلاته على ابن أبي ابن سلول «وأما الاستغفار للمنافقين الذي خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطييب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر له. والله أعلم"[1].

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. هذه الآية اختلف أهل التأويل في نزولها على أربعة أقوال: فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يستغفر له بعد موته، وقال آخرون: بل نزلت في سبب أمِّ رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها، فمنع من ذلك. وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قومًا من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك. وقد تأوّل قوم قولَ الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾، الآية أنّ النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم، لقوله: «من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» وقال آخرون نزلت في رجل استغفر لأبويه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك عليّ للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها[2]. والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية نزلت في أبي طالب٠قال ابن عطية: "واختلف المفسرون في سبب هذه الآية، فقال الجمهور: ومداره على ابن المسيب وعمرة بن دينار، نزلت في شأن أبي طالب»[3] فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال: (أي عم قل معي لا إله إلا الله

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٢٢/١٠).
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/١٢-٢٤)، زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين ابن الجوزي (٥٠٧/٣).
(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٩٠/٣).

أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبدالمطلب، فقال النبي ﷺ: (والله لأَسْتَغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك)، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾»[1] أما بالنسبة لكلام المفسرين عن هذه الآية فقال أبو حيان: "ودلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية القرب، ونبه على الوصف الشريف من النبوة والإيمان، وأنه مناف للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله"[2]. والآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافرًا، ولا ينافي هذا ما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال يوم أحد حين كسر المشركون رباعيته وشجوا وجهه: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)؛ لأنه يمكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغه تحريم الاستغفار للمشركين، وعلى فرض أنه قد كان بلغه، كما يفيده سبب النزول، فإنه كان قبل يوم أحد بمدّة طويلة، فصدور هذا الاستغفار منه لقومه إنما كان على سبيل الحكاية عمن تقدّمه من الأنبياء، فعن عبدالله، قال: كأني أنظر إلى النبيّ ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «ربّ اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون»[3] وفي البخاري، قال عبدالله: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيًا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[4] قوله:

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، حديث رقم: (٤٦٧٥)، (٦/ ٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، حديث رقم: (٣٩)، (١/ ٣٣).
(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (٥/ ١٠٨).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، حديث رقم: (١٠٥)، (٢/ ٨٦٢).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار: حديث رقم: (٣٤٧٧)، (٤/ ١٧٦).

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار، والمعنى: أن هذا التبيين موجب لقطع الموالاة لمن كان هكذا، وعدم الاعتداد بالقرابة؛ لأنهم ماتوا على الشرك.

وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده»[1].

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٢/ ٥٨٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي امتنّ علينا بنبي الرحمة ﷺ، وجعله رحمة للعالمين، وبعد تلك الرحلة العلمية الممتعة، يحسن إيراد بعض النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث، والمتلخصة فيما يأتي:

١. لفظ الرحمة من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وآخرته.

٢. وردت ألفاظ في القرآن الكريم، هي نظائر لكلمة الرحمة، حيث تقاربها في المعنى والدلالة وهي: اللين، الحنان، الرأفة.

٣. دلت هذه الدراسة على أن الرحمة أصل من أصول الأخلاق؛ فلابد أن تعطى حقها من الإيضاح والدعوة.

٤. أبانت هذه الدراسة فطرية الرسول ﷺ على الرحمة، وتأصلها في خلقه ونفسه، بدلالة آيات الكتاب العزيز.

٥. أشاد الله ببيان رحمته ﷺ؛ ولذا فبيان رحمته أمر في غاية الأهمية للمسلمين وغيرهم.

٦. يؤكد البحث أن الرسول ﷺ كان رحيمًا بأعدائه مشفقًا عليهم، بل كان يدعو لهم بالهداية، ولا يدعو عليهم بالهلاك.

٧. أشار البحث إلى أن مبعثه ﷺ رحمة للعالمين.

٨. أكدت الآيات سعي النبي ﷺ في إيصال الخير والنفع إلى المنافقين، رحمة بهم مع كونهم في غاية الخبث والخزي.

التوصيات:

١. تركيز المؤتمرات حول جانب معين من جوانب شخصيته ﷺ؛ لتعميق الدراسات حوله.

٢. إفراد مصنفات في جوانب رحمته ﷺ، وخاصة جانب رحمته بأعدائه؛ لأنه الأكثر دلالة وقوة.

٣. التغطية الإعلامية المباشرة لوقائع المؤتمر بلغات مختلفة، وعلى فضائيات متنوعة، حيث يسهم هذا في الدفاع عنه ﷺ.

فهرس المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد ابن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مطبعة السعادة- مصر، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٢. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد- مكة، دون ذكر الطبعة والتاريخ

٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي- الدمام، دون ذكر الطبعة التاريخ.

٥. بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث- بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) دار سحنون-تونس، ١٩٨٤م، دون ذكر الطبعة.
٩. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن- الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١١. تفسير القرآن الكريم، من سورة الحجرات وحتى الحديد، محمد ابن صالح العثيمين، دار الثريا- عنيزة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٢. التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
١٣. تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة، أبو منصور، حمد بن محمد الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
١٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده- مصر
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر- القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٧. الرحمة في القرآن الكريم، موسى عبده عسيري، مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر- القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢٠. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد- مكة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٢١. دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٢. رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي- الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٣. الرسالة المحمدية وشواهدها، محمود عبدالوهاب، مكتبة القاهرة- القاهرة، ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، اعتنى به: السيد محمود شكري الآلوسي، دار إحياء التراث-بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٢٥. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي- دمشق، ط٤، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢٦. صحيح البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٧. صحيح مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)،

تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة- الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٨. ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٢٩. عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم- دمشق، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٣٠. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن السعدي' اعتنى به: عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار الفضيلة- الجزائر، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣١. فتح القدير، لمحمد علي الشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء- مصر، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، وآخرون، مكتبة العبيكان- الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٣. الكليات، أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار: الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.

٣٤. لسان العرب، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث- بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣٥. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجى - القاهرة، ١٣٨١هـ، دون ذكر الطبعة.

٣٦. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دون ذكر الطبعة.
٣٧. مجموع الفتاوى، أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دون ذكر الطبعة.
٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٩. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٤٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار- القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٤١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ). تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة- الرياض، ط٤، ١٤١٧ه-١٩٩٧م.
٤٢. مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٤٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة: نزار مصطفى الباز، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٤٤. مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، من دون ذكر الطبعة.

٤٥. المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي، دار المجتمع- جدة، ط١، ١٤٠٩ه- ١٩٨٩م.

٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات، محمد بن محمد بن ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)، طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دون ذكر الطبعة.

٤٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.